الضبابيّةُ في تدوينِ أسفارِ العهدِ القديم

م.د عواد قاسم الماجدي

جامعةُ بغداد/ كليّة العلوم الإسلاميّة/ قسم الأديان المُقارنة

الضبابيّة ـ الأسفار ـ العهد

2024م **1445هـ**

مُلخّص البحث

يكتنفُ أسفار العهد القديم الضبابيّة والغموض الكبير، حتّى إلتفت اليهود أنفسهُم الى ذلك، الغموضِ والإجمال ، وبدت تساؤلاتهُم تُطرح بِشكلٍ علني، فلا نجد سِفراً إلّا وإختُلِفَ في تدوينه ومصدرهِ، ونستطيع أن نُجمل أهمِّ النتائج التي توصلنا اليها في بحثنا هذا بما يلي:

أولاً: التوراة التي هي أهمُّ وأشهر أسفار العهد القديم لدى اليهود، لم يَسلم مِن الشُبهةِ والتردد، لِدرجةٍ لا يُعلم مَنْ صاحب الأسفار الخمس، ومَنْ الّذي كتبها.

ثانيا:

ثالثا:

رابعا:

خامسا:

سادسا:

سابعا:

ثامنا:

مُقدِّمة:

نصوصُ وتعاليم الشريعة السماويّة، ينبغي أن تصل سَليمةً وواضحة الى المُجتمعِ المُراد هدايته، وإيصاله الى الكمال والصلاح، وبِعكسِ ذلكَ، لا يكون المُجتمع مُلزما بتعاليم الشريعة، ما لم تك قد وصلت سليمة بالفعل، فإنَّ الله تعالى لا يُعذّب قوما، ما لم تكن التعاليم الإلهيّة قد وصلتهُم بالكامل، وحصل العِلم بِها، قال تعالى{ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبعَثَ رَسُولا** } الأسراء 15. وذلكَ بِموجب العَدل الإلهي، لكي يكون الجزاء الأُخروي مطابق للعمل والإمتثال الدنيوي، والإمتثال مشروط بالعِلمِ واليقين الجازم، لِقبحِ العِقابِ بلا بيان عقلاً وشرعا. ولِأجل التصديق والإمتثال لِتعاليم الشريعة، لابُدَّ مِن التحقق مِن عِدَّةِ أمورٍ، لكي نكون مُلزمين بالإمتثال والإيمان بمفاهيم الشريعة، ولا يكون إيمانُنا مبنيا على الضنون والإحتمالات، التي لا تُغني ولا تُشبع مِن جوع، وإنَّ الإيمانَ إعتقادٌ بالجنان وعملٌ بالأركان، وأهمّ تلك الأمور التي يجب توفرها في ثبوت حقيقية الشريعة السماوية، هي:

أولا: حصول اليقين والتواتر والعِلم القطعي، بوصول تعاليم الله تعالى الى البشر، بِكمالِها وتمامِها، كما أرادها المُشرّع الحكيم.

ثانيا: مُطابقة النصوص الدينيّة المُرسلة للمنطق السّليم، وعدم مُعارضتِها للقواعدِ العَقليّة مُعارضة قطعيّة.

ثالثا: موافقتها للفضائلِ والتعاليم الأخلاقيّة، وذو ثمرةٍ إنسانيّة أو روحيّة، في بناء الفردِ والمجتمع ورُقيّه.

ومِن هُنا ينبغي تقويم نصوص العهد القديم، وفق هذه الضوابط، والتحقيق من سلامتِها، فليس مِن المعقول والمَسنون، أن يتمسّك الإنسان بِأحكام وتعاليم دينيّة، ويُضحّي مِن أجلِها بالنفسِ والمالِ والوقت، وهو لا يُدرك حقيقة وصحّة صدورهذه التعاليم مِن الله تعالى، أو تدور حولها الشكوك المنطقيّة والعَقليّة والعَقديّة، خصوصا التي يقطع العَقلُ ببطلانِها وكذبِها، وبالأخصّ حينما تُقارن بشرائعِ سماويّة ناضجةٌ ومتينةٌ، تحمل مُستوى فكري وعِلمي وعَقَدي رصين، يتوافق مع العَقلِ والحِكمة.

فنحنُ إذا مُضطرّون ومحكومون بِحكمِ العَقلِ، وإتّباع نتائجه، ولا يوجد معيار آخر للتقويم والتحقيق مِن صحّة وقبول الأعمال والسِّلوكيّات، سوى العَقل وجنوده، والإعتماد على المنطق السَّليم، في قبولِ التعاليم السماويّة، أو ردِّها حينما لا تكون متوافقة مع ضروريات العقل والوجدان، فإنّ الله تعالى تعبدنا بالعقل والحُجّة والبرهان.

وقد إرتأينا أن يكون هذا البحث على شَكلِ مبحثين، يتضمّن كُل مَبحثٍ على ثلاثِ مطالبٍ، ومسائل عِدّة، تُحيط بالبحثِ مِن جميع جوانبه، مع خُلاصةٍ وخاتمةٍ بأهمّ النتائج.

المبحثُ الأوّل: كيفيّة جمع وتدوين أسفار العَهد القديم

المطلب الأوّل: أسفار العهد القديم ومُشكلة التدوين

تمهيدٌ: الكتابُ المُقدّس الأوّل عند أغلب اليهود يحتوي على (تسعةٍ وثلاثين) سفرا، يُضاف لها سَبعة أسفار لدى اليهود العبرانيين، يكون العدد الكُلي(ستّا وأربعين)سِفرا، ويُسمى(تناك)، والأسفار الخمس الأولى منهُ تُسمى(التوراة)، وسُمّيت مُتأخرا بـ(البتاتوكس)، وهي أسفار(التكوين والعدد والخروج واللاويين والتثنية). كما أن لِأسفار العهد القديم ترجمات عِدّة، المشهور منها عند اليهود العبرانيين الترجمة الآرامية، وهي ترجمة(أونقيلوس)و(عزيل)، وترجمات إغريقية أشهرها ترجمة(سبتواجنت)، المنسوبة الى أكثرِ من سبعين عالما يهوديا، والترجمة العربية المعروفة بترجمة(سعاديا)، وهو كبير حاخامات اليهود في القرن الثالث الهجري، كتبها بحروف عبريّة غير معروفة عند العرب، وقد طُبعت لأوّل مرّةٍ بالعربيّة عام1648م، ثُمَّ طبعت بحروفها العبرية عام1872م. أمّا اليهود السامريين فلديهم ترجمة واحدة بالآراميّة.

والكتاب الثاني لدى اليهود، يسمى (المَشنا)، وهو الشريعة الشفويّة، التي أُخذت شفاهةً من أفواه الحاخامات والعلماء، ويزعمون أنّه وحيا تلقاه موسى(عليه السلام) كما تلقى التوراة، وعلمهُ للشيوخ، والشيوخ علموه للأنبياء، والأنبياء علموه لرجال(السنهدرين)وهي المحكمة اليهودية العليا، التي تأسست بعد السَبي البابلي، أواخر القرن الخامس قبل الميلاد.

والكتاب الثالث لدى اليهود، يُسمى(جمارا)، وهو شروح علماء اليهود على (المشنا)، وبجمعِ كتابي (المشنا والجمارا) يتألّف كتاب (التلمود). وهما تلمودان، (تلمود أورشليمي)، وهو المشنا نفسه بزيادة حاخامات فلسطين، و(تلمود بابلي)، وهو المشنا أيضا، بزيادة حاخامات بابل، وهو الأشهر عند اليهود، وينصرف اليه إطلاق لفظ التلمود. وقد بالغ اليهود في مكانة التلمود، فجعلوه كعادتهم، وجعلوه أسمى من التوراة، حتى قالوا(مَن درس التوراة فَعَلَ فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومَن درس المشنا(التلمود)فعل فضيلة إستحقَ أن يُكافأ عليها، ومَن درس(الجمارا) فعل أعظم فضيلة) [1]. وهو كتاب مليء بالأحقاد والضغائن على جميع الشعوب غير اليهوديّة.

وقد وقع الكلام منذُ القِدم بِسعةِ حجم التحريف، في أغلبِ أسفار العهد القديم المكتوبة، فضلا عن غير المكتوبة كالتلمود، لِكثرة التناقضات العقليّة والمنطقيّة في نصوصِ العهدِ القديم، حتّى إعترف العديد من اليهود، بتلك التناقضات، بل تصدّى البعض منهُم لِتصحيح ومعالجة تلكَ التناقضات العقليّة والعَقديّة، مثل العالم اليهودي في العصور الوسطى (موسى بن ميمون) الأندلسي، الذي وضع الأُصول الثلاثة عشر، وأُسماها أركان الدّين اليهودي، وذلكَ في كتابهِ(دلائل الحائرين)، في التوحيدِ وعلمِ الكلام، وهي مُحاولةٌ جادَّة ومُنفتحةٌ، في تطوير وتنقيح الفكر اليهودي. ومنهم (سعيد بن يوسف الفيومي) (سعاديا)، الّذي نزّه الله تعالى من الصفات الماديّة، التي وردت في التوراة وحملها على المجازيّة، وغير ذلكَ من المحاولات[2].

---

[1]- الكنز المرصود، روهلنج، ترجمة من الفرسيّة يوسف نصرالله،مطبعة المعارف مصر، ط1، 1899م،ص31.

[2]- ينظر: نظرة في التوراة، عواد الماجدي، منشورات دار جامعة الصدر الدينية، النجف الاشرف،ط1، ص12.

تعدد مصادر التوراة والعهد القديم لدى اليهود

وهذا التعدد والتردد في مصادر التوراة، مما لا شَكَّ فيه، وأسفار اليهود شاهدةٌ على تعدد جهةِ الصدور، وأنَّ الباعث للتوراة والأسفار ليست جهةٍ واحدة، وليست هي نتاج كاتب واحد، أو مُفيض واحد. وأصبح هذا الأمر مِن المُسلمات التي يعترف بِها علماء اللاهوت أنفسهم، فلا يُعلم مَن هي الجهة الحقيقيّة التي وَرَدَ عنها تلكَ نصوص التوراتيّة، هل هو الإله الربّ أم المَلِك أم شيء آخر، والمصادر الّتي يُعتقد أنّها مصدر بعث تعاليم التوراة، هي:

أولا: مصدر يحمل إسم الإله(يهوه)، يعود الى القَرن التاسع قبل الميلاد، ورواته مِن الجنوب، مما كان يُسمى(مملكة يهوذا). ويُقال أنّهُ هو مَن أرسل التعاليم الى الشعب اليهودي. وقد وَرَدَ إسم (يهوه)في التوراة لِأوّل مرَّة في سِفر الخروج3: 15(هكذا تقول لبني إسرائيل يَهوَه إلهُ آبائكم إلهُ إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكُم).وكانوا يعتبروه إله الحرب والنصر والمُحب لهُم خاصّة، حتى جاء في سِفر الخروج3: 18(الربُّ إلهُ العبرانيين التقانا).لكنَّهم وصفوه بِصِفاتِ المخلوقين من الضعف والندم، وأنّهُ يستشير الحاخامات في المسائل التي لا يمكن حلَّها في السماء، حتَّى أنّهُ غضب ذاتَ مرَّة على بني إسرائيل فإستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانِهم من الحياةِ الأبديّة. ثُمَّ تركوا عبادة إلهَهُم، كما في سِفر القضاة 2 : 12(وتركوا الربَّ إلهَ آبائهم الذي أخرجهم من أرضِ مِصر، وساروا وراءَ آلهةٍ أُخرى مِن آلهة الشعوبِ الذين حولهُم).وذلك بعد ما نالوا الهزائم والتنكيل من البابليين والآشوريين.

ثانيا: مصدر يحمل لإسم الإله(الوهيم)،بصيغة الجمع، وفي بعض الأحيان يُشير الى إله واحد، ويعود الى القَرن الثامن قبل الميلاد، ويُعتقد أنّهُ هو مَن أرسل التعاليم لشعب اليهود، ويُقال أنّ الإسم يشترك مع آلهة الشعوب القديمة التي جاورها اليهود، كآلهة الصيدويين وغيرهم، فإكتسبوها بالمُجاورة.

ثالثاً: مصدر (تثنية الشريعة)، كُتبت في القرن السابع قبل الميلاد، وإعتُبر جزءاً من التوراة عام621قبل الميلاد. فقد وردَ في سِفر (الملوك الثاني)22: 8-14. حيث أرسل المَلِك يوشيّا، الّذي مَلَك في عُمرٍ ثمان سنين، كاتبهُ (شافان بن أصليا) الى الكاهن (حِلقيّا)، فقال حِلقيّا الى شافان، لقد وجدتُ سِفرَ الشريعة في بيت الربِّ، فأخذ شافان السِفر وأعطاه الى المَلك(يوشيّا)، فلما سمعَ الملكُ كلام سِفر الشريعة مزّق ثيابه، وأمر بإتّباع هذا السِفر، وقال: (أنّ الربّ غضبَ علينا لإنَّ آباءنا لم يسمعوا كلام هذا السِفر ولم يعملوا به). وقبل ذلك لم يُعرف سِفر الشريعة، ولا حتّى من آبائهم، ولم يعملوا به، كما هو مُصرّح بالنصِّ المُتقدّم.

رابعا: مصدر(حواشي الكهنة)، وتعود الى القَرن الخامس قبل الميلاد، وأُضيف الى التوراة وأسفار العهد القديم في عهدِ (عزرا) و(نحميا)، أي بعد العودة من السَبي البابلي، وهي فترة سيطرة الكهنة والأحبار على اليهود[3]. وهؤلاء الكهنة أيضا يُعتقد أنّهُم مصدر الأسفار والتوراة المُتداولة حاليا، إختلقوها من إنفسهم، حتى وردَ في ذمِّهم في سِفر حزقيال22: 26-28(كهنتهُم خالفوا شريعتي، ونجّسوا أقداسي، لم يُميّزوا بين المقدّس والمُحلّل، ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر،،،رؤساؤها في وسطِها كذئابِ خاطفة خَطفا لسفكّ الدم، لِإهلاك النفوس لِإكتساب كسبٍ، وأنبياؤهم قد طيّنوا لهُم بالطُفالِ، رآئين باطلا، وعارفين لهم كذبا، قائلين:

---

[3]- ينظر: الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ط1، 1970م، ص26.

هكذا قال السيّد الربّ والربُّ لم يتكلم). وقد أشار القرآن المجيد الى ذلك التزوير والتحريف عمدا**{فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم واشتَرَوا بِهِ ثَمَنًا قَليلا فَبِئسَ مَا يشتَرُون}**آل عمران.

وهكذا تشتت وتردد الفهم الدقيق لمصدر الأسفار، ولم يتّضح على نحو الدقّة واليقين، فحصل الإجمال والضبابيّة في نسبة تلك الأسفار. مع مُلاحظة سِعة حجم التناقضات في الأسفار في الكتاب المقدس، ومِن هُنا بدءت المُحاولات في تذليل الشُبهات، بعد أن توسّعت رقعت التشكيك، من داخل البيت اليهودي ومن خارجه.

مُشكلةُ التدوين لِأسفار العهد القديم

وهي مِن أكبر المشاكل، التي تعترض التصديق وقبول أسفار العهدالقديم، ومنشأ هذه المُشكلة أنّ نصوص أسفار العهد القديم تمَّ تناقلها شفاهة دون تدوين، وبالتالي دخلتها التناقضاتُوالغرائب، فحصل عدم تجانس اللإسلوب في كثيرٍ من النصوص، مُضافا الى أنَّ التدوين بدءَ في فترةٍ زمنيّة تبعُد عن موسى(عليه السلام)، مِئات السنين، قرابة خمس قرون تقريبا، مع الصعوبات وكثرة الأحداث، كذلك أنّ عمليّة التدوين لم تتم دفعةً واحدة، فيرى البعض أنَّ أوّل تدوين كان لِأسفار موسى، وأنَّ العمليّة تمت في بابل خلال فترة السّبي والتهجير(587)قبل الميلاد، ولم يكن للتوراة ذكرٌ في الإحتفالات الخاصّة في فتح الهيكل. وأوّل قراءة للتوراة كانت عام(444)قبل الميلاد، وهي قراءة (عزرا)، الذي كتب التوراة لِخوفه من ضياعِ الهوية في بابل، ممّا يفقدهُم الأمل بالرجوعِ الى فلسطين، لذلكَ يمكن تسمية هذه التوراة بتوراة الكهنة، لِأنَّهُم وضعوها وأضفوا عليها القداسة، وفرضوها على أبنائهم بعد الرجوع الى فلسطين، فكان الكاهن (عزرا) كاتب آلهة السماء، كما وصفته التوراة، وهي غير توراة موسى(عليه السلام) بالتاكيد.

كما أنَّ عزرا والكهنة، هُم الذين وضعوا مفهوم المسيح المنتظر، وعهد الرب، إثناء السبي البابلي، بأنّ يعيدهم الى أرضِ آبائهم وأجدادهم، ولكن سرعان ما نقض العهد بتدمير(تيطس) الروماني[4].

أمّا أسفار الأنبياء فقد دُوّنت إثناء المرحلة الفارسيّة، قبل عام(333)قبل الميلاد، بدليل أنّ سِفري أخبار الأنبياء لم يحلّا محل سِفري صموئيل والملوك ولم يلحقا بِهما، الأمر الذي يدل على أنَّ كتب الأنبياء تمَّ تدوينها والإعتراف بها قانونيّا، كما لا توجد في سِفر الأنبياء أيّ كلمة إغريقيّة، ولا إشارة الى سقوط الإمبراطوريّة الفارسيّة، أو ظهور الإمبراطورية اليونانيّة. مضافا الى أنَّ بين موسى(عليه السلام) وأسفار الأنبياء فترة زمنيّة، بدليل أنَّ السامريين الذين إعتزلوا عن اليهود، إعترفوا بالتوراة ولم يعترفوا بأسفار الأنبياء، وقد دُوّنت أسفار الأنبياء، خلال الفترة الممتدة من القرن السادس وحتى الثالث قبل الميلاد[5]. والظاهر أنّها أُلِّفَت حينما كانت أسفار موسى(عليه السلام)مجهولةً، إذ يندر أن تجد فيها ذكر لموسى.

أمّا القسم الآخر من أسفار العهد القديم، مثل أسفار الحكمة والأناشيد، فقد دوّنت البعض منها في عصر أسفار الأنبياء، ولكن لم تُضاف الى كتب الأنبياء، بصفةِ أنّها لم تكُ ثمرة الوحي، والقسم الآخر من منها دُوّنَ في مرحلةٍ متاخرةٍ عن كتب الأنبياء، ولم تُضاف اليها إلّا في القَرن الثاني قبل الميلاد، وهي كتب (دانيال وعزرا والإخبار).

---

[4]ـ العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسه، ص538.

[5]ـ محاظرات في اليهوديّة، الدكتور وليد فرج الله، نسخة مصورة، ص117.

المطلب الثاني: الضابط في جعل أسفار العهد القديم قانونيّة

بعد كثرة إدّعاء الأسفار في المجتمع اليهودي، وتضارب الأقوال والإختلافات الشديدة، في نِسبةِ جميع الأسفار الى المُشرّع السماوي، وضع الأحبار قواعد عامة، تكون معيارا في إدخال وإخراج هذا السِفر أو ذاك في أسفار العهد القديم، وكونها مُعترف بِها، وهذه القواعد هي:

أولا: كون النصّ مكتوبا باللغة العبرية، ويُضن أنّ سِفر دانيال تُرجِمَ بدايته ونهايته بسرعة، لِأجلِ ضمِّها الى الأسفار القانونيّة، والإعتراف بِها. أي هناك تحايل ومجاملة ومراعاة لبعضِ الأحبار والأقوام.

ثانيا: كون النصّ مكتوبا قبل النبي(مالاخي)، أي في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث يرى الحاخامات أن النبوة توقفت في بني إسرائيل.

ثالثا: أن يكون مضمون النصّ متوافقا مع المعايير الدينية، التي تبناها الحاخامات، وهي معايير وضعت بعد جِدال ونزاع بين العلماء اليهود، في شأنِ بعض الأسفار التي تحتوي على أفكار غنوصيّة باطنيّة، مثل سِفر حزقيال، وإتفقوا في نهاية على إدخاله في الكتب القانونية(العهد القديم)، بشرطِ عدم تدريسها للأطفال[6].

وكما ترى لم تكْ هذه المعايير والقواعد علميّة، ولا تبعث الإطمئنان في النفسِ والعقل، بصدور تلك الأسفار بالتواتر واليقين عن الأنبياء، فضلا عن تعارضها ومخالفتها للعقل وعقيدة التوحيد، وإنّما المسألة توافقيّة بين الأحبار، وليس خاضعة لقواعدِ النقل السّليم.

أسفار العهد القديم بين السماويّة والوضعيّة

قد يكون العنوان غريبا لِأوّل الأمر، ولكن حينما نستمع الى ما قالهُ اليهود والنصارى، في تلكَ الأسفار،يندفع الإستغراب، ويكون التشكيك مُحكما، وكما يُقال أهل البيت أدرى بالّذي فيه، ولنطّلع الى ما تناولهُ الكاتب المسيحي الخوري بولس الأفغالي، المتخصص في اللاهوت والفلسفة، في كتابه(مدخل الى الكتاب المقدس)، في معرضِ الدفاع عن أسفار العهد القديم.

يقول الخوري بولس:(إنَّ الفاتيكان من خلال المجمع المسكوني، يرون أن كتاب العهد القديم، هو كلام الله الّذي إتَّبعه المسيح، وبلغ بهِ الى كماله)، ويُعلّق الخوري بولس على هذا الكلام، أنَّ هناك من يقول أنَّ هذا الكلام غير صحيح، وإنّما هذا مُجرّد كلام يقولونه للناس، وهو يُميزون كتاب العهد القديم عن كتاب العهد الجديد، ويرفضون رفضاً قاطعاً أن يكون كتاب العهد القديم يحتوي على كلام الله، بل يعتبرونهُ أقلّ شأنا مِن كتب الفلاسفة القدماء، ويطرحون عليه عِدَّة إشكاليات، منها:

أولا: إنّهُ كتابٌ صعب الفهم، وأنّهُ كُتِب قبل أكثر من آلفي عام، ولا شيء يُفضلها عن كُتب العهد الجديد(الإنجيل)، أنّهُ مُجرّد قصّة شعب لم يكن أفضل مِن باقي الشعوب، بل شعبا مُغلقا على ذاته، مُعتبرا الله تعالى لهم وحدهُم دون سائر الشعوب، فما الثمرة من قراءته.

ثانيا: فيه الكذب والإحتيال والقسوة، عند أشخاص كانوا يصفون أنفسهم برجال الله.

---

[6]- ينظر: نظرة في التوراة، عواد الماجدي، دار جامعة الصدر الدينية، النجف الاشرف، 2007م،ص51.

وقد أجاب الخوري بولس الفغالي عن هذه الإشكاليات، بما يلي:

أولا: قد أجاب عن الإشكال الأوّل، الّذي يقول أنّهُ كتاب صعبٌ وكُتبَ قبل الفي عام، لشعبٍ خاص ومُغلق؟. قال: صحيح أنّها صعبة، ولكن هذه الأسفار هي التي أوصلت الينا وديعة الإيمان، حتى أوصلتنا الى السيّد المسيح، و(أنَّ كلمة الله كما وصلت الينا في أسفار العهد القديم، لم تعبّر عنها الإنسان بصورة كاملة، بل تطورت مع تطوّر الإنسان، ولن تصبح كاملة إلّا في شخص الإبن ـ المسيح ـ، ولذا يقول المسيح: أنا والربّ واحد، وفي غير هذا يبقى كلام الله ناقص)[7].

ونفهم من ذيلِ كلام الخوري بولس، أنَّ كلام الله ناقصٌ، فلابُدَّ من إنتظار السيّد المسيح لكي يَسدّ هذا النقص. ولا أعرف هل يصحّ ويُعقل، أنَّ العبدَ يصححُ كلام الخالق المعبود، ويُكمل النقصَ في التشريع، فيكون المخلوق أحكم وأعلم من الخالق.

ثانيا: ويُجيب الخوري بولس عن الإشكال الثاني، بكونهِ كتابا فيه كذب وقسوة وإختيال؟. بقولهِ:(قد إعترض المسيحيون على المستوى الأخلاقي في أسفار العهد القديم، كما في قصّة (لوط) مع إبنتيه، في سِفر التكوين. وقصّة (تامارا)مع يهوذا، في سِفر التكوين أيضا. و(نساء سُليمان) العديدات، في سفر الملوك الثالث، ولا ينسون إحتيال إبراهيم على فرعون، حينما خاف على نفسه، وعلى ساره الجميلة، فأمرها أن تقول أنَّها أخته وليس زوجته، فأخذها فرعون ونجا إبراهيم(عليه السلام). وإحتيال إبراهيم على ملك(جرار) وإسمه أبيملك، حينما قال بأنَّ ساره أخته، وليس زوجته، فأخذها أبيملك. وقصّة خاله(لابان)، في سِفر التكوين، وإحتيال بني يعقوب(عليه السلام)،على أهل مشكين، وقسوتهم على أخيهم يوسف، حينما باعوه عبدا للتجار الإسماعيليين)[8].

كُلُّ ذلك يعترف بهِ الكاتب الخوري بولس الفغالي في كتابه(المدخل الى الكتاب المقدس)، ويعترف بهِ المسيحيون كذلك حسب قوله المُتقدّم.

ويعترف الخوري بولس أيضا بأنَّ:(البشر خطاؤون، وأنّ سِفر التكوين لم يرضى عن تصرّف إبراهيم عندما باع زوجته لفرعون، وأنَّ الكتاب المُقدّس يُرد حطايا رجال إختارهُم الله لرسالة خاصّة)[9].

أي أنَّ الأنبياءَ مُجرّد واسطة لنقل الرسالة فحسب، وليسوا بمعصومين عن الخطأ في سلوكياتهم وأفعالهم. وهذا ما وقع فيه البعض من الفِرق الإسلاميّة، إذ قالوا أنَّ الأنبياء معصومون ومُسددون في خصوص نقل الرسالة، أمّا في غيرها من السلوكيات والأفعال، فقد يذنبون ويرتكبون الفواحش والآثام، لِعدم العصمة في غير النقل للرسالة، وبذلكَ سلكوا نفس المسلك، وأسسوا مبدء التشكيك والطعن في الأنبياء والرسل، ولكن بصورةٍ أضيق، خارج دائرة التبليغ في الرسالة. وبذلكَ يكون جوابُ الخوري بولس عن الإشكال، دون المُستوى العلمي المطلوب، بل يُزيد في الإشكالِ إشكالا وتشكيكا.

---

[7]ـ ينظر: مدخل الى الكتاب المقدس، الخوري بولس الفغالي، ج1، ص153.

[8]ـ المصدر نفسه، ص154.

[9]ـ المصدر نفسه، ص154.

المطلب الثالث: العوامل المؤثّرة التي رافقت تدوين العهد القديم

يقول صاحب كتاب(المدخل الى الكتاب المقدّس)، الخوري بولس الفغالي، في الحوادثِ والعقبات التي رافقت تاريخ اليهود بشكلٍ عام وتاريخ تدوين الأسفار بشكلٍ خاص، فيقول: (عام سبعين ميلادي، إجتاح الرومان مدينة أورشليم، عاصمة الشعب المؤمن ـ اليهود ـ ودمروا الهيكل، الّذي كان اليهود يعتبرونه بيت الله، ومحلّ سُكناه، ولم يَعد شيء يربطهم بالله، إلّا التوراة، وهي أيضا مُهددة بعد إنفصال السامريين، بجبلِ جرزيم، قرب نابلس، عن اليهود في أورشليم، بعد أن إختلف الصدوقيون والفريسيون على تحديد الشريعة الشفهيّة والمُدوّنة، وظهور المسيحية وإنتشارها... وأنَّ الصدوقين يرفضون القول بقيامة الأموات،وإنّما الجزاء في الدنيا، وكان لهُم دور في قتل يسوع،وخياتهم مرتبطةٌ بالهيكلِ، فلمّا زال الهيكل لم يبق أثر في الخياة اليهوديّة)[10].

أي هناك عوامل عديدة رافقت وأثرت في تدوين أسفار العهد القديم، ونقله في صورةٍ أمينةٍ، فوصلت الصراعات الى قتل عيسى(عليه السلام)كما يعتقدون. وهذا يدل على أن التوراة والعهد القديم لم تك واضحة المعالم عندهم، من حيث الأصول الثابتة والمُتغيرة، مما تسبب في نشوءِ نزاعات في تعيين وتدوين كتاب العهد القديم. ويقول الخوري بولس: (أنَّ الأسفار عند اليهود ستة وأربعون سِفرا، وقد كتبها كُتَّاب كثيرون على مدى ثمان قرون، وأنّها دُوّنت بصورةٍ نهائيّة في العهد الفارسي، حيث تبلورت شريعة موسى في تيارين، شمالي يمثّل في الوصايا العشر، ذات الطابع الأخلاقي وبقانون العهد، وتيار جنوبي متمثّل بوصايا العبادة وشعائرها، ثُمَّ إلتقى التياران فإعطيا: القانون الإشتراعي، وقانون القداسة، والتوراة، والقانون الكهنوتي. ولمّا عاد الكهنة الصدوقيون من المنفى، حملوا معهم نصوصا مكتوبة وتقاليد شفهيّة، وجعلوا كل ذلك في إطار الأسفار الخمسة، بعد أن كيفوه بحسب الظروف الحاضرة، وجعلوا فيه قانون الذبائح وقانون الطهارة، وهكذا برزت التوراة بصورتها النهائيّة، في القرن الرابع قبل الميلاد. وأنّ لِإجتياح الإسكندر منطقة الشرق تاثير سَلبي على قسمٍ من اليهود، لِأنّهُم يرون اليونان وثنيّة، وتأثير إيجابي بالإستفادة من الثقافة واللغة، وكان من ثماره سِفر الحكمة، وفي هذا العهد دُوّنت بصورة نهائية أسفار الأيام، الأولى والثانية، ونحميا وعزرا، كردِّ فعلٍ على السامريين المنشقين،الّذين بنوا هيكلهم على جبل جرزيم وإنفصلوا عن اليهود، وهذه الأسفار الأربعة كُتبت في القرن الرابع قبل الميلاد، ولا نعرف كيف كُتب سِفر أستير... أمّا كتابا سِفر الحكمة والجامعة، فيدلان على معرفةٍ بالفكر اليوناني ومسائله، وسِفر طوبيا يرتبط بالعالم الشرقي ـ نظرته الى الملائكة ـ، وكذلك سِفر باروك، الذي ترجع أقدم مواده الى القَرن الثالث قبل الميلاد. أمّا سِفر يشوع بن سيراخ، فقد دُوّين في القرن الثاني، فضمنهُ عناصر أخذها من أسفار موسى، وتعاليم الأنبياء وكتب الحكمة. زنتيجة الصراع بين الفكر اليهودي والفكر الهليني، وصل إلينا سِفر دانيال، وسِفر يهوديت وسِفر المكابين...وكذلك سِفر الحكمة لسليمان، في القرن الأول قبل الميلاد. تلك هي مرحلة تكوين التوراة، تتبعناها فإكتشفنا فيها تطوّر فكري ديني، بدء بموسى وتعمّق مع الأنبياء، وتكيّف مع معلمي الحكمة، فكان لنا هذا البناء الضخم)[11].

---

[10]ـ ينظر: المدخل الى الكتاب المقدس، الخوري بولس الفغالي، ج1، ص154.

[11]ـ المصدر نفسه، ص154.

وفي معرض الردِّ على ما صرّح به الخوري بولس في كلامة المُتقدّم، نقول: أنّ ما ذكره ليس مصدر قوّةٍ ولا ترجيح، لصحّةِ وسلامة تدوين أسفار العهد القديم والتوراة، بل هو مصدر ضعف، فما إعتقدهُ من تلك المسيرة التاريخيّة المليئة بالأحداث، وتجميع الأسفار بهذا الشكل والتذبذب والمُتخبّط، بعضها ردود أفعال كردةِ فعلٍ على السامريين، وعلى اليونانيين، ومصادر مجهولة، لا تنفع في صدق وصحّة تدوين، مِن الدخيلة، والتلاعب البشري، بحيث يحافظ على سلامة الوحي الإلهي، السياق الرباني. بل أنّ تلك الأحداث الكثيرة التي ذكرها الخوري بولس، تُعمّق في ضياع وتشتت أسفار العهد القديم، وعدم ضمان سلامة تعاليمها.

تبادل الطعون في كتابي اليهود والنصارى

يقول الخوري بولس الفغالي: (أن المسيحيين يعتبرون العهد القديم، دون الوحي الكامل، ودون الإيمان الّذي يفترضه هذا الوحي دون الحياة الجديدة...أمّ الأسفار المنحولة، أي التي تنتحل شخصيّة الكتاب الموحاة، أو تُضيف الى كتاب الله ما قالهُ الناس،...تُشكّل عمارة ضخمة جدّاً...وهُم يرفضون رفضا قاطعا أن يحسبوا أسفار العهد القديم كتبا تحتوي على كلام الله، بل يقولون أنّها أقل شأنا من كلام الفلاسفة القدماء، ويقولون أنّها صعبة وقديمة، وهي مجرّد قصّة متعلقة بشعبٍ مغلق، وفيه الكذب والإحتيال والقسوة، فهي تكاد تكون كلاما بشريّا)[12]. هذا ما قاله المسيحيون بحق كتاب العهد القديم في السابق.

أمّا ما قاله اليهود بحقّ كتاب العهد الجديد(الإنجيل)، فيقول الخوري بولس الفغالي: (اليهودية تعتبر العهد الجديد، وكأنّهُ لم يكن، فكيف ستقرأ أسفارهم المقدسة، بعد أن هُدِّم الهيكل وأُلغيت الذبائح، ولم يَعد لها إلّ الشريعة، كوسيطٍ بين بين المؤمن وربّه...ولذلك لا تزال اليهودية، نعتبر نفسها شعب الله المختار، وترفض ما قاله القديس بولس، بأنَّ شعب إسرائيل هو عبدٌ للشريعة، وأنَّ أسفار العهد القديم إنتقل إليها، لِأنّها هي التي أصبحت شعب الله المختار...وبقيادة يوحنا بن زكريا، عقد اليهود إجتماعا، أنتج الإنفصال عن المسيح، وكان هؤلاء اليهود من الفريسيين، ففي دعاء الثاني عشر المُسمّى بركات هامنيم، وهو دعاءٌ ضد الكفار، ويقصدون المسيح المتنصّرين من اليهود، وهو: فليحطّ الإله اليأسَ في قلوب المرتدين، وليهلك كل المسيحيين التو.

وقد آمن اليهود بالأسفار التسعة والثلاثين المكتوبة بالعبريّة، وتركوا الأسفار المكتوبة باليونانية، لأنَّ المسيحيين قد تناولوها، كما في الترجمة السبعينية، بل وزاد المسيحيون سبعة أسفار لتصبح ستة وأربعون. كما أنّ التقليد الشرقي إختلف عن التقليد الغربي لليهوديّة، فإنَّ الأسقف مليتون السرديسي ت160م، قد أرسل لائحةً بمجموعةٍ من أسفار التوراة، الى أسقف آخر إسمهُ أونسيمون، وأغفل عن ذكر سِفر أستير والأسفار القانوني الثانية، وهي الأسفار السبعة، التي أضافها اليهود المسيحيون، أمّا أوريجانس في القرن الثالث، تردد بين ما قاله الغربية والشرقيّة، وكذلك تردد كيرتس الأوشليمي، وأثناسيوس الإسكندراني، ويتودورس

[12]- ينظر: المصدر نفسه، ص185.

المصيصي . كما أنَّ اليهود لا يقرون بأنَّ العهد القديم قد تنبّأ عن السيد المسيح، وهيّأ الدرب للمسيح، والسبب يعود الى جهلهم الحقيقي للتنبؤات المسيحانية، والى عدم إيمانهم بالمسيح)[13].

وهكذا هي الإتهامات والطعون المُتبادلة، بين النصارى واليهود، في كتابي العهد الجديد والقديم، فسبحان من جمع الكتابين في كتابٍ واحد، وتسميته بالكتاب المقدس.

صحّةُ تدوين التوراة(الأسفار الخمس)

كان الحديث في صحّةِ تدوين عمومِ أسفار العهد القديم، ونتحدّث هنا عن صحّةِ تدوين الأسفار الخمس الأولى، المُسماة(التوراة)، وهي(التوراة والخروج والعدد واللاويين والتثنية)، والتي تُسمى أيضا بـ(البنتاتوكس)، وهنا يتحدّث الخوري بولس الفغالي، مدافعا عن التوراة كما كان يدافع عن اسفار العهد القديم، ويقول: {ظلَّ التقليد اليهودي والمسيحي على هذا الموقف، وهو أنَّ أسفار موسى الخمس كتبها موسى، حتّى جاء(كارستادت)، البروتستانتي في القرن السادس عشر، حين حين تسائل كيف إستطاع موسى كتابة قصته وقصّة وفاته ـ سِفر التثنية34: 5، ثُمَّ تسائل بعده(ماسيوس)المستشرق الكاثوليكي، واليسوعان(باراريوس وبون فريد والفيلسوف اليهودي سبينوزا)،هل كتب موسى التوراة كلها، أم أكملها بعده شخص آخر، ونشر راهب إسمه(ريشارد سيمون)،كتابا بعنوان التاريخ النقدي للعلم القديم1678م،أوردَ فيه التواريخ المختلفة والتكرارات المتعددة، والغوص في تاليف النصوص...وخَلُصَ الى القول: أنَّ كلّ هذا يمنعنا مِن الإعلان أنَّ موسى هو مؤلّف البنتاتوكس، أي التوراة بالجملة...وقد ظهرت مُنذ عهدٍ بعيد، أبحاث حول البنتاتوكس، من اليهودية والمسيحية أنّ موسى هو صاحب الأسفار الخمس التوراة، أمّا أسفار العهد القديم فلا تُنسب الى موسى، إلّا دستور العهد، وبعد المسيح نُسب الى موسى، وظلَّت هذه النظرة سائدة حتى القرن الثامن عشر، أمّا بعد ذلك طرحت مسائل حول التوراة، هل كان موسى مُلهما الى حدٍّ كبير، يجعله يروي قصته مُسبقا، كما في سفر التثنية34: 5. وشكَّ التلمود في وأعتبر أنَّ يشوع زاد الآيات الثمانية الأخيرة في التوراة. وفي القرن الثاني عشر أشار(ابن عزرا)بإمكان وجود مقاطع جاءت بعد موسى، مثل سِفر التكوين12:6،(وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض)، وفي سِفر التكوين13: 7 لماذا كان موسى يستخدم صيغة الماضي إذا كان يكتب قبل الإحتلال. وكان(كارلشتات)ت1486: 1541، أوّل لاهوتي }

[13]ـ ينظر المصدر نفسه، ص186.